مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ٣ في ١ اذار سنة ١٩٢٣ م الموافق ١٣ رجب سنة ١٣٤١ المجلد ٣

تحقيق مسألة لغوية

زيادة الميم في بعض كلمات اللغة

لا يخفى ان اللغة العربية فرع من فروع اللغة السامية وأنها اخت العبرانية . وقد تطورت اللغة العربية بعد انشعابها من الأصل السامي . واخذت في صيغ كلمها . وتراكيب جملها . اشكالاً شتى . وطرائق قددا . لكن بقي فيها مع ذلك اشياء تربطها بأصلها . وتومئ الى علاقتها باختيها : اللغة السريانية واللغة العبرانية : من ذلك صيغة المصدر على (فَعَلوت) مثل رهبوت ورحموت وملكوت وجبروت . وصيغة النسبة بزيادة الألف والنون قبل ياء النسبة المشدّدة : مثل روحاني وجسماني وظلماني ونوراني . وقد تكون زيادة الألف والنون في بعض الكلمات العربية لافادة المبالغة لا لمجرد النسبة : كالشعراني للكثير الشعَر . واللّحياني للكبير اللحية . والصدراني للواسع الصدر . والرقباني للغليظ الرقبة .

وان هذه الصيغ وأمثالها في لغتنا العربية بمثابة حلقات أو عرى تربطها باللغات السامية أو هي كالاعضاء الأثرية التي تبقى في الاجسام الحية وتذكّر بالأصل كما يقول اصحاب مذهب النشوء والارتقاء .

وقد قال لي بعض الفضلاء يوماً : إن الميم في كلمة (اللهم) العربية التي معناها يا الله هي ميم الجمع في اللغة العبرانية وان معنى (اللهم) (آلهة) وأصلها (ألوهيم) جمع آله . فترددت في قول هذا الفاضل وذلك لما وقر في نفسي من أن ميم (اللهم) قامت مقام حرف النداء (يا) بعد حذفها وهو ما يقوله النحاة . فأصل (اللهم) يا الله !

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم لما كنت افسّر (جزء تبارك) ومرّت معي كلمة (زنيم) في آية (عُتُلٍّ بعد ذلك زنيم) رأيت المفسرين يقولون إن معناه الدعيّ الملحق بقوم ليس منهم فهو فيهم كالزَّمَعة في رقبة الشاة . فالزنيم على هذا مشتقّة من الزمعة وميمها اصلية . وقال بعضهم : ان معنى (الزنيم) مَنْ لم يولد لرِشدة . فتنبهتُ من هذا القول الذي جعل الميم زائدة في (زنيم) على مادتها الأصلية وهي الزنا — إلى إمكان دلالتها على الجمع . كما قال لي ذلك الفاضل في زيادة ميم (اللهم) على كلمة (الله) للدلالة على الجمع .

و بعد ذلك تذكرت الكلمات العربية التي تزاد في آخرها « ميم » ورجعت اليها فاذا هي نحو ثلاثين كلمة . لكنهم لم يذكروا بينها كلتي (اللهم) و (زنيم) .

ويمكن قسمة هذه الكلمات الى ثلاثة أنواع :

(النوع الاول) أسماء ذوات زيد عليها الميم نحو (ابن) فيقال فيه (ابنم) و (شدْق) (شَدْقم)واسع الشدق . و (شِبر) (شَبرَم)القصير و (حلق) (حلقوم) .

(النوع الثاني) أسماء صفات زيد عليها الميم : نحو (أزرق) فيقال فيه (زُرْقم) وهو الشديد الزُرقة . و (أخضر) (خِضْرم) الأخضر والبحر و (دخش) (دُخْشم) الغليظ الممتلئ لحماً . و (صَلْد) (صِلدم) الشديد الصُلْب . و (فُسْح) بمعنى فسيح (فُسْحُم) الفسيح والفسيح الصدر . و (شجاع) (شَجْعم) الشجاع والاسد .

(النوع الثالث) أسماء مصادر زيد فيها الميم فأصبحت اسماء ذوات نحو (بَلْع) (بُلعوم) أو أصبحت اسماء صفات نحو (جحظ) فيقال (جَحْظم) ومعناه الجاحظ المقلة بشدة .

وقد علل علماء اللغة زيادة الميم في هذه الكلمات بأنها لافادة المبالغة في ما كان من الصفات والمعاني كزرقم للشديد الزرقة — ولافادة التعظيم وتفخيم الشأن في ما كان من الأسماء كشدقم للعظيم الشدق واسعه .

ولا يخفى ان مجرّد قولهم هذا في زيادة الميم لا يشفي غليل الباحث المنقّب ومن ثَمَّ خطر لي أن ابحث في هذه الكلمات التي زيدت عليها الميم وفي جملتها كلتي (اللهم) (و زنيم) وفيما اذا كان يصح اعتبارها من قبيل مخلّفات اللغة السامية في لغتنا العربية . وان العرب قد أبقوا على هذه الصيغ في لغتهم كما أبقوا على ملكوت وجبروت

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وروحاني وجسماني .

هذا رأيُ ارتئيه . وأستزيد أهل الفضل فيه . وأعترف أولاً بانني لم أشدُ شيئاً من اللغة العبرانية ولا السريانية . وكم وددت أن أشدو شيئاً منهما كما أودّ ذلك لعلماء الاسلام الذين يشتغلون في خدمة اللغة العربية وخدمة القرآن والحديث من طريق هذه اللغة الشريفة وتحليل كلماتها . ولعمري إن اشتغال نفر من علمائنا في شدو اللغة العبرانية او السريانية يساعد كثيراً على حلّ مشاكل جمّة في طائفة من النصوص القرآنية والحديثية التي تتضمن كلمات سريانية او عبرانية الأصل . مثل آية (وقولوا حطّة نغفر لكم خطاياكم) . وقد اختلف علماء التفسير في كلمة (حطّة) وما هو معناها العبراني ؟

وكل ما أعلمه من اللغة العبرانية هو أن الجمع فيها يكون بزيادة (ياء وميم) على آخر الكلمات : فكَرُوب مثلاً معناه (ملَك) و يقولون في جمعه (كروبيم) اي (ملائكة) . و (إله) يقولون في جمعه (ألوهيم) وهكذا .

وهذه العلامة نفسها (اي الياء والميم) أخذتها اللغة العربية للدلالة على الجمع في الاسماء الظاهرة . لكنها قلبت الميم نونا : فيقول العرب في جمع (مقرّب) و (صالح) مثلا (مقرّبين) و (صالحين) بالنون واذا جمعهما العبرانيون قالوا (مقرّبيم وصالحيم) بالميم . وقلب الميم نوناً في اللغة العربية أمر معهود : فيقولون في اللغة الفصيحة (عنبر وعمبر) و (بنان و بنام) و (دخشن ودخشم) (اي غليظ ممتلئ لحماً) . ونقول في لغتنا العامية (هنيّ) مكان (هُم) الضمير و (ابو كن) مكان (ابوكم) .

فجمع (كروبيم) العبراني ينطقه العرب هكذا (كروبيّين) بل ربما قالوا (كروبيم) أيضاً بإبقاء الميم احتفاظاً بالصيغة العبرانية نفسها كما صرح بذلك علماء اللغة العربية .

وفسّر علماؤنا (الكروبيين) بأنهم الملائكة المقربون الذين هم أقرب الملائكة الى حملة العرش . وفسّرها شراح التوراة بالملائكة الذين يقيمون في حضرة الله تعالى . والتفسيران في الحقيقة واحد .

هذا في الاسم الظاهر كما أشرنا أما في الأسم المضمر فإنك اذا جمعته في كلتا

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

اللغتين « العربية والعبرانية » زدت في آخره ميمًا فقط : فتقول في العربية « انتَ » «أنتم» وفي « هو » « هم » وفي « إياك اياكم » «ضربت ضربتم» « ضربك ضربكم » « كتابك كتابكم » « لك لكم »

وفي العبرانية « إته » « انت » « إتِمْ » « انتم » «هوا» «هو» « هِمْ » « هُمْ » .

فالميم وحدها هي علامة الجمع في اللغتين . وهذا مما يحقق رأينا من أن في لغتنا العربية آثاراً باقية من اللغات السامية وان الميم الدالة على الجمع في إحدى تلك الآثار .

ولرب معترضٍ يقول إن « الميم » ليست وحدها علامةً للجمع في اللغة العبرانية بل يكون قبلها « ياء » نحو « كروبيم » وهذه الكلمات التي عددتها : شَدْقم شبرَم حلدم الخ . كلها تنتهي بالميم وحدها فكيف يصح القول بأنها ميم الجمع العبرانية ؟

والجواب أن حذف « الياء » وتغيير حركات الصيغة هو أثر طبيعي لتطور الكلمات عند نقلها من لغةٍ الى لغةٍ : فلا ينبغي ان نعجب إذا كان أصل « زُرْقم » العربية « زرقيم » العبرانية ألا ترى ان « سلام عليكم » في العربية هي بلا ريب أخت « شالوم عليخيم » في العبرانية . فزرقيم أصبحت زُرْقم كعليخيم التي أصبحت عليكم .

وهذا التحوّل أمر معهود في اللغات كلها ولا يحتاج الى إطالة الكلام فيه .

اما الاعتراض الذي ربما كان وجيهًا ويحتاج في الجواب عليه الى عناية واهتمام فهو قولهم : إن هذه الكلمات التي زيد عليها الميم مفردات لا جموع : فزُرْقم معناها أزرق لا زُرْق . واللهم معناها الله لا آلهة . وحلقوم حلق لا حلاقيم وهكذا .

والجواب على هذا أن علماء اللغة العربية قالوا ان هذه الميم الزائدة تفيد المبالغة والتعظيم في معاني الكلمات التي زيدت فيها . وهذا لا نزاع فيه بينهم .

ولا يخفى ان صيغة الجمع في اللغة العربية تفيد أحيانًا هذا المعنى نفسه أي المبالغة والتعظيم لا الكثرة . فتجمع الكلمة المفردة و يبقى معناها مفرداً . و يفيد هذا الجمع تعظيمه او المبالغة فيه لا تعدد أفراده . مثال ذلك :

« فلان منتفخ المناخر » وإنما له منخر واحد . لكنهم يعنون أن أنفه ورم وعظم من الغيظ والحنق او من الكبر والعجب فكأنه عدة أنوف لا أنف واحد . و« ألقاه في لهوات الليث » وانما لليث لهاة واحدة . لكنهم جمعوها لتعظيمها وتهويل أمرها .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وقال ابو ذؤيب في رثاء اولاده :

« فالعين بعدهم كأنّ حداقها سُمِلت بشوكٍ فهي عور تدمع »

« والحِداق » جمع حدقة فهو قد جعل لعينه حداقًا كثيرة للمبالغة وللاشارة الى أن كل جزء من حدقتها الواحدة أصبح كحدقة مستقلة . ومثله قول ذي الرمة « برّاقة الجيد واللبّات واضحة »وانما لها لَبَّة واحدة وهي موضع القلادة من العنق . وقال امرؤ القيس : « يزلُّ الغلام الخِفّ عن صهواته » وانما لحصانه صهوة واحدة . فوردت كل هذه الكلمات مجموعة للاعتبارات التي ذكرناها . ومن ذلك قولهم في الوصف « ثوب أسمال أو أخلاق» اذا كان باليًا جداً . و « ارض سباسب » و « ريح زعازع » . و « برمة أعشار » يعنون ضخمة عظيمة و « قلب أعشار » أي كبير متسع لما يصيبه من الآلام والتباريح . قال امرؤ القيس :

« وما ذرفت عيناك الا لتضربي بسهميك في أعشار قلبٍ مقتّل »

فمعنى المبالغة والتعظيم الذي قال أئمة اللغة العربية إنه استفيد من زيادة « الميم » في كلمات « زُرْقم »و « شُدْقم » و « صِلدم » الخ — لم يُستفد في الواقع ونفس الأمر الا من صيغة الجمع العبرانية الظاهرة آثارها في تلك الكلمات . والا فكيف كانت الميم مما يفيد المبالغة وما علاقة المبالغة بها ؟ ؟

ومن الغريب قولهم ان الميم في « اللهم » انما هي عوض عن « يا » النداء . لكن ما سرُّ هذا التعويض ؟ واذا كانت للتعويض كيف يصح الجمع بينها وبين « يا » النداء التي جاءت عوضًا عنها في قول شاعر العرب :

« اني اذا ما حادث ألَمّا أقول يااللهم يا اللهمّا »

مع ان القاعدة عدم جواز الجمع بين العوض والمعوّض . والذي يدلّ على مبلغ حيرة علماء العربية في هذه الميمات الزائدة في أواخر بعض الكلمات ما نذكره عن حيرتهم في ميم « اللهم » : فالبصريون قالوا إنها عوض عن حرف النداء . وقال الكوفيون إنها بقية من جملة محذوفة وان الأصل « يا الله أُمَّنا بخير » اي اقصدنا بخير . فعلى مذهب الكوفيين يجوز أن يقال « يا اللهم » لأن الميم ليست عوضًا عن « يا » حتى يقال انه قد جُمع بين العوض والمعوّض . أما عند البصريين فلا يجوز . وقالوا إن ما سُمع

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

شاذ . وقال ابو حيّان : ان ما ذهب اليه الكوفيّون من ان ميم « اللهم » بقية باقية من جملة محذوفة لتقديره « يا الله أُمّنا بخير » رأي سخيف لا يحسن ان يقوله من عنده علم . ومما يدلّ على سخافته أن تقدير هذه الجملة يورث الكلام ركّةً في نحو قولك مثلاً « اللهم صلّ على محمد » لأنه يؤول الى قولك « الله أُمّنا بخير صلِّ على محمد » بدون ربط . والتزام تقدير عاطف لم يُلفظ به قط بعيد جداً اهـ فقد فهم من قولهم هذا ان هذه الميم الزائدة إحدى محارات علماء اللغة . وان الأمر فيها ليس بتّاً عندهم . فيسمح لي ان ارتئي فيه رأياً يبقى محلاً للقبول والاعتبار ما دمنا لم نجد رأياً غيره . فاذا أتى احد برأي آخر أسدّ منه وأقرب الى الصواب تركنا رأينا ورجعنا اليه

أما رأيي في هذه الميامث وتعليلها أو تحليلها فهو ان يقال إن « شجعم » هو في الاصل جمع « شجاع » وهذا الجمع يفيد المبالغة في وصف الشجاعة وأن معنى تسمية الاسد « شجعم » انه من شجاعته اصبح كأنه عدة شجعان لا شجاع واحد فهو مفرد حقيقةً جمع اعتباراً . وهكذا « جحظم » في وصف جاحظ العين التي نتأت عينه وجحظت مقلته بشدّة . وهو أبلغ من جاحظ . حتى كأن كل جزء من مقلته مقلة مستقلة جاحظة بنفسها . و « ابنم » في الابن يريدون انه كامل في البنوة . حتى كأنه مجموع أبناء في البرّ والحمد لا إبن واحد . وهكذا البواقي

اما الكلمتان اللتان زدتهما وهما « زنيم » « واللهم » : فزنيم في ابن الزنا يريدون المبالغة في شتمه وتعييره حتى كأنه متعدّد جاء من متعددين . واما كلمة « اللهم » فيقال فيها : ان كانت لغة الشرك الأصلية ارادت بها الآلهة الكثيرين فان لغة التوحيد الاسلامية نقلتها الى الاله الواحد الحق فالموحّد الحنيف اذا قال « اللهم » في دعائه كان كأنه يقول : ايها الاله الواحد انت الكل في الكل وانت هو وحدك الآلهة المتعددة التي كان يزعمها المشركون . فأصل كلمة « اللهم » في لغة الشرك كان يفيد التعدد ثم نقل في لغة الاسلام الى إفادة التوحيد . ويشبه هذا ما قاله العالم الأثري المشهور « احمد باشا كمال » المصري في كلمة « قيّوم » من اسماء الله إنها مصرية الأصل عربية المادة في وقت واحد . وهذا مبنيٌّ على رأيه في ان لغة عرب الجزيرة متفرعة عن لغة المصريين الأقدمين . وان العرب من أصل مصريّ :

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

فقال : إن « قيّوم » في لغة المصريين اسم لآلهة من آلهتهم . يزعمون انه اوجد نفسه بنفسه . واصل الكلمة « قيّم أمّ » فالقيّم معناه القائم بأمر أمّ اولاده . والأم هي زوجته امّ اولاده . فهذا الاله كان قيّماً اي اباً واماً في آن واحد . وقام بالوظيفتين معاً من حيث انه أوجد نفسه بنفسه .

هكذا حلّل كلمة « قيّوم » الفاضل المشار اليه . فيكون الاسلام نقل كلمة « قيّوم » من هذا المعنى المؤسس على الالحاد إلى معنى الاله القديم الأزلي القائم وحده حق القيام بخلق السموات والأرض وحفظهما .

ومحصل القول في الكلمات التي وجدت في اللغة العربية منتهية بميم زائدة وقد قال علماء اللغة ان الميم تفيد المبالغة والتعظيم — أن معنى المبالغة والتعظيم فيها انما جاءها من صيغة الجمع العبرانية التي تسرّبت الى لغتنا العربية من تلك اللغة كما تسربت اليها صيغةُ المصدر كرحموت وصيغة النسبة كروحاني

واذا لم تكن الميم في « شدقم » واخواتها ميم الجمع العبرانية يمكن ان تكون هي التنوين الذي يلحق الكلمات في اللغة البابلية : فكما نزيد نحن النون في اواخر كلماتنا كان البابليون يزيدون الميم فنقول نحن « رجلٌ » وهم يقولون « رجلم » فلعل ميم « شدقم » واخواتها هو تنوين علق في آخر الكلمات العربية من تلك اللغة البابلية . ثم تنوسي اصله وظن من بنية الكلمة حتى ألحق العرب به تنويناً آخر فقالوا «شدقمٌ شدقماً» .

هذا رأيي أعرضه على الفضلاء المشتغلين بخدمة هذه اللغة الشريفة . مع اعتقادي أنه فطير . حشوهُ قصور ونقصير . لكنه قد ينضج إذا توقدت تحته نار الجدال . وكثر حوله القيل والقال

المغربي